موعد نزول المسيح الموعود وتاريخه
بحسب أقوال كبار السلف والخلف
والأحوال الأخرى
نقلا عن كتاب: "آثار القيامة"[١٧٠]

المولوي السيد محمد صِدِّيق حسن خانْ – الذي يعتبره الشيخ أبو سعيد محمد حسين مجددا – كتب بكل صراحة في الصفحة ٣٩٥ من كتابه "آثار القيامة" أن ظهور المهدي ونزول عيسى وخروج الدجال سيكون في قرن واحد. ثم يقول: كانت هناك نبوءة تنبأ بها الإمام جعفر الصادق بأن المهدي سيظهر في العام ٢٠٠ من الهجرة، ولكنه قد مضى ولم يظهر المهدي. فإذا كانت النبوءة المذكورة مبنية على كشف أو إلهام، فلا بد من تفسيره، أو لا بد من اعتبار الكشف باطلا. ثم يقول بأن مذهب أهل السنة هو أن المراد من حديث "الآيات بعد المائتين" هو أن هذه العلامات ستبدأ بالظهور بعد مرور ١٢٠٠ عام، وسيحل موعد ظهور المهدي والمسيح الموعود وخروج الدجال. ثم ينقل عن "نعيم بن حماد" أن "أبا قبيل" يقول بأن المهدي سيظهر في عام ١٢٠٤من الهجرة. ولكن هذا الكلام أيضا لم يتحقق. ثم يقول مشيرا إلى كشف رآه الشاه ولي الله – المحدث الدهلوي– أنه علم تاريخ ظهور المهدي في كشف من الله متمثلا في الاسم "جراغ دين" بحسب حساب الجمَّل، وأن

---

[١٧٠] *الاسم الكامل هو: "حجج الكرامة في آثار القيامة" لمؤلفه الشيخ صِدِّيق بن حسن الحسيني القِنَّوجي، البخاري (١٢٤٨ – ١٣٠٧الهجري). (المترجم)*

مقدار هذه الاسم بحساب الجمّل هو: ١٢٦٨. ثم يقول: لقد مرت تلك السنوات أيضا و لم يُعثر للمهدي على أثر في الدنيا. فتبين من ذلك أن هذا الكشف أو الإلهام "للشاه ولي الله" لم يكن صحيحا.

أقول: إن مرور السنوات المحددة لا يدل على الخطأ في الكشف، بل يدل على الخطأ في الفهم، لأن مواقيت الأنباء المحددة لا تكون قطعية الدلالة، بل في كثير من الأحيان تكون فيها استعارات، حيث تُذكر الأيام ويرُاد منها السنوات.

ثم يشير إلى مجلة "السيف المسلول" للقاضي ثناء الله باني بتي، ويقول: قد ورد فيها أن علماء الظاهر والروحانيين متفقون ظنا وتخمينا منهم أن المهدي سيظهر في أوائل القرن الثالث عشر. ثم يقول: لقد سبق أن قال بعض المشايخ بناء على كشوفهم؛ إن المهدي سيظهر بعد مرور ١٢٠٠ عام، ولن يتجاوز ظهوره القرن الثالث عشر. ثم يقول: لقد مضت هذه الأعوام أيضا و لم يبق من القرن الثالث عشر أيضا إلا عشرة أعوام و لم يظهر المهدي ولا عيسى في الدنيا إلى الآن. فما هذا الذي حدث؟ ثم يسجل رأيه هو ويقول: إنني أرى بناء على قرائن قوية أنه سيظهر على رأس القرن الرابع عشر. ثم يقول: القرائن تدل على أن الفتن الدجالية الكثيرة قد ظهرت في القرن الثالث عشر، ولا تزال تظهر للعيان كظلمات الليلة الحالكة الظلام. وإن اجتماع الفتن والآفات في القرن الثالث عشر صار على لسان كل صغير وكبير، حتى أننا سمعنا من العجائز – حين كنا صغارا – أن الدواب أيضا استعاذت من القرن الثالث عشر. ثم يقول: مع أن هذا الكلام لا يثبت بهذه الدقة من أيّ حديث، ولكن حين ننظر إلى تقلّبات العالم ونرى الاختلافات الواضحة الحاصلة في أحوال بني آدم؛ نجدها

شاهدا صادقا على أن الدنيا لم تكن بهذا الحال من قبل. فمع أن كشوف المشايخ ليست جديرة بالثقة الكاملة، لأن هناك إمكانية كبيرة للخطأ فيها؛ بيد أنه يمكننا القول بأن وقت ظهور المهدي وعيسى قد قرُب، لأن الأمارات الصغرى قد ظهرت جميعها، ويلاحَظ في الدنيا تغيُّرٌ عظيم، وإن حالة أهل الدنيا قد تغيَّرت إلى حد كبير، وساد الإسلامَ ضعفٌ كامل، والحقيقة النورانية التي اسمها "العِلم" قد اختفت من الدنيا، وعمّ الجهل كثيرا وشاع، وحمي وطيس الفسق والفجور، وانتشر البُغض والحسد والعداوة، وتجاوز حب المال الحدودَ كلَّها، وقد تقاصرت الهمم عن تحصيل أسباب المعاد، وجُعلت الدار الآخرة في طي النسيان تماما، وأوثرَتْ الدنيا بكل معنى الكلمة، فهذه كلها علامات بينة وأمارات جليّة على أن ذلك الوقت قريب جدا.

أقول: إن قول الشيخ صديق حسن خان بأنه لا يثبت من حديث صحيح وقتٌ محدد لظهور المسيح خطأ فادح من الشيخ، بل يبدو من كشوف الأولياء أن أجله الأخير هو نهاية القرن الثالث عشر. وقد أقرَّ من قبل أن عمر الدنيا منذ خلق آدم هو سبعة آلاف سنة، و لم يبق من عمرها إلا قليل.

ثم نقل في الصفحة ٣٨٥ من كتابه حديثا ورد في ابن ماجة برواية أنس، وقد أورده الحاكم أيضا في المستدرك: "لا مهدي إلا عيسى بن مريم." ثم يقول إن هذا الحديث ضعيف، لأن مجيء المهدي ثابت من أحاديث كثيرة.

أقول: إن الأخبار عن المهدي لا تخلو من الضعف، لذلك لم يأخذ بها الشيخان، أما حديث ابن ماجة والحاكم الذي يقول: "لا مهدي إلا عيسى بن مريم" فقد اطلعنا عليه الآن. ولكن يمكننا التوفيق بين الروايات في أن الشخص الذي ذُكر مجيئه في الأحاديث باسم عيسى، سيكون هو المهدي في عصره وهو

الإمام، ومن الممكن أيضا أن يأتي بعده مهدي آخر، وهذا ما ذهب إليه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري أيضا، لأنه لو كان معتقدا بشيء آخر لذكره في صحيحه، ولكنه اكتفى بالقول: سينـــزل ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ، وسكت. والمعلوم أن إمام الوقت يكون واحدا فقط. ثم يقول في الصفحة ٤٢٥ بأن السلف والخلف متفقون على أنه عندما ينـــزل عيسى سيُدخَل في الأمة المحمدية. ويقول بأن الإمام القسطلاني أيضا قال ذلك في كتابه: "المواهب اللدنية". واللافت في الموضوع أنه سيكون فردا من الأمة، ونبيا أيضا. ولكن من المؤسف حقا أن الشيخ المرحوم لم يدرك أن صاحب النبوة التامة لا يمكن أن يكون من الأمة مطلقا. والذي يسمَّى رسول الله بوجه أكمل، من المستحيل تماما أن يكون مطيعا كاملا لنبي آخر أو فردا من أمته بحسب نصوص القرآن الكريم والأحاديث؛ إذ يقول الله جلّ شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾[١٧١]، أيْ أن الله تعالى يرسل الرسول ليكون مطاعا وإماما، وليس ليكون مطيعا وتابعا لغيره، أما المحدَّث – وهو من المرسَلين أيضا – فيكون فردا من أمة نبيه المتبوع، ونبيا أيضا نبوةً غير كاملة. فيكون فردا من الأمة لكونه تابعا كاملا لشريعة رسول الله، ونائلا البركات من مشكاة الرسول. ومن ناحية ثانية هو نبي أيضا، لأن الله تعالى يعامله معاملة الأنبياء. بل الحق أن الله تعالى قد خلق المحدَّث كالبرزخ بين الأنبياء والأمم. فمع أنه من الأمة بوجه كامل، ولكنه نبي أيضا من وجه آخر. فمن الضروري للمحدَّث أن يكون مثيلا لنبي، وينال عند الله اسم ذلك النبي.

[١٧١] *النساء: ٦٥*

هنا يجب أن يكون مفهوما أنه لما كان مقدّرا أن تسري أفكار النصارى واليهود الباطلة في الدنيا كلها كالسم الزعاف، ولن يتسرب تأثيرها السيِّئ إلى الناس من طريق واحد فقط بل من آلاف الطرق – وقد أُنبئ مسبقا في الأحاديث الشريفة عن هذا الزمن بأن الصفات السيئة للمسيحية واليهودية سوف تنتشر إلى حد كبير حتى تترك تأثيرها القوي في المسلمين أيضا، ويصبح سلوك المسلمين وعاداتهم وتصرفاتهم شبيهة باليهود والنصارى تماما، والعادات التي أهلكت اليهود والنصارى من قبل، ستتسرب كلها إلى المسلمين نتيجة ظهور أوجه التأثير فيهم، وفي ذلك إشارة إلى زمنٍ يترك فيه المجتمع المسيحي الذي يحمل في طياته صفات اليهود أيضا تأثيره على نحو عام في أفكار المسلمين وعاداتهم ولباسهم وأساليب عيشهم. والحق أن العصر الراهن هو ذلك الزمن الذي غابت منه الروحانية كليًّا– لذا كان مقدرا عند الله أن يرسِل لهذا الزمن مصلحا يمحو صفات اليهود والنصارى السامة من بين المسلمين، فأرسل ﷻ مصلحا باسم ابن مريم ليُعلَم أن الذين أُرسِل إليهم هذا المصلح قد صاروا مثل اليهود والنصارى تماما. فكما ورد أن ابن مريم سينـــزل فيكم، كذلك أُشير في الوقت نفسه بكل صراحة إلى أن حالتكم عندئذ ستكون كحالة اليهود عند بعثة المسيح ابن مريم. فقد اختير هذا اللفظ إشارةً ليعلم كل واحد أن الله تعالى قد وصف المسلمين الذين وُعد نزول المسيح ابن مريم فيهم باليهود، ولكن من المؤسف حقا أن لا أحد من المشايخ المعاصرين يفهم هذه الإشارة، بل هم متمسكون بظواهر الألفاظ كاليهود، ويقولون مرارا وتكرارا إنه لا بد من مجيء المسيح ابن مريم حقيقةً. ولا يفكرون قط أنه إذا قيل لأحد: إنك فسدتَ كفرعون، ولسوف يأتي موسى لإصلاحك، فهل يعني هذا الكلام أن موسى

رسول الله الذي نزلت عليه التوراة سيُحيا في الحقيقة ويعود إلى الدنيا؟ كلا، ومن الواضح تماما أن هذا ليس هو المعنى المراد، بل يراد من مثل هذا الكلام أن مثيلا لموسى سيأتي لإصلاحك.

والواضح أيضا أن مغزى الأحاديث النبوية وملخّصها أنه ﷺ يقول: عندما تفسد تصرفاتكم في الزمن الأخير كاليهود، سيأتي عيسى بن مريم لإصلاحكم. أيْ حينما تصبحون يهودا بسبب تصرفاتكم السيئة سأرسل إليكم أحدا بصفته عيسى بن مريم. وعندما تستحقون السياسة بسبب تمردكم الشديد عندها سيظهر فيكم محمد بن عبد الله؛ الذي هو المهدي.

فليكن واضحا أن كِلا الوعدَين؛ أيْ وعد مجيء محمد بن عبد الله ومجيء عيسى بن مريم، يماثل بعضهما الآخر من حيث الهدف والمقصود. فالمراد من مجيء محمد بن عبد الله هو أنه حين تؤول حالة الدنيا إلى وضع يقتضي الإصلاح، عندها سيظهر شخصٌ مثيل لمحمد ﷺ، ولكن ليس ضروريا أن يكون اسمه محمد بن عبد الله في الحقيقة. بل المراد من تلك الأحاديث هو أنه عند الله؛ سيحمل اسم محمد بن عبد الله، لأنه سيأتي مثيلا لمحمد ﷺ. كذلك فالمراد من مجيء عيسى بن مريم: هو أنه عندما يصبح الناس مثل اليهود نتيجة سوء استعمالهم لعقولهم وابتعادهم عن الروحانية والحقيقة وغياب عبادة الله وحبه ﷻ من قلوبهم؛ سيكونون عندئذ من أجل إصلاحهم روحانيًا، بحاجة إلى مصلح يوجههم إلى الروح والحقيقة، والبِرِّ الحقيقي، وذلك دون أن تكون له علاقة بالقتال والحروب. وهذه مكانةٌ مسلَّم بها للمسيح ابن مريم؛ لأنه قد جاء لأداء هذه المهمة بوجه خاص. وليس ضروريا أن يكون اسم هذا الشخص الآتي "عيسى بن مريم" حقيقة، بل المراد من الأحاديث هو أن اسمه "عيسى بن

مريم" عند الله على وجه القطعيّة. وكما سمّى الله تعالى اليهودَ قردةً وخنازير، إذ قال عنهم: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾[١٧٢]، كذلك وصف ذوي الطبائع الفاسدة من هذه الأمة بأنهم يهودا، وسماني المسيح ابن مريم، وقال في إلهامه: **جعلناك المسيح ابن مريم.**

ثم يقول المولوي صديق حسن خان في كتابه المذكور: عندما ينـــزل عيسى بن مريم ستُكشف عليه جميع أحكام القرآن الكريم بواسطة جبريل عليه السلام؛ أيْ سينـــزل عليه الوحي، ولكنه لن يتوجّه إلى الأحاديث، لأن تفسير القرآن الكريم سينـــزل عليه بالوحي، وسيُغنيه عن الحديث.

ثم يقول: يظن البعض أن عيسى بن مريم عندما ينـــزل، يكون فردا من الأمة فقط، ولن تكون فيه نفحة من النبوة.

ثم يضيف ويقول: والحق أنه سيكون فردا من الأمة ونبيا أيضا، ويكون اتّباع النبي ﷺ واجبا عليه مثل بقية أفراد الأمة، وسيضطر لقبول كلِّ ما أجمعت عليه الأمة، وحيث رأى النبيَّ ﷺ ليلة المعراج، فهو صحابي أيضا، غير أن أبا بكر هو الأعلى درجة من بين الصحابة جميعا بحسب إجماع جماعة أهل السنة.

ثم يتساءل: كيف صار واحدا من الأمة مع كونه نبيا؟ ويرد على ذلك بنفسه قائلا: لأنه كان قد دعا الله تعالى أن يجعله من أمة نبي آخر الزمان، لذا فقد جعله الله من أمته أيضا، مع كونه نبيا.

ويقول في الصفحة ٤٢٧: سيكون مجدد عصره، ويُعدُّ من مجددي هذه الأمة، ولكن لن يكون أمير المؤمنين؛ لأن الخليفة يجب أن يكون من قريش،

---

[١٧٢] *المائدة:* ٦١

وأنّى للمسيح أن يسلب حقهم؟ لذا لن يؤدي قط مهام الخلافة؛ مثل الجدال والقتال والسياسة، بل سيأتي تابعا لخليفة الوقت، وكالرعايا.

فمن الشبهات الكبيرة التي تطلّ برأسها هنا أنه إذا كان المسيح ابن مريم من الأمة تماما عند نزوله، فلا يمكن بحال من الأحوال أن يكون رسولا لكونه فردا من الأمة، لأن هناك تفاوتًا بين مفهوم الرسول ومفهوم الفرد من الأمة. وكذلك إن كون نبينا ﷺ خاتَم النبيين؛ يمنع مجيء نبي آخر، أما الذي يستمد النور من مشكاة نبوة محمد ﷺ، ونبوته ليست نبوة تامة، بل يُدعى بتعبير آخر محدَّثا؛ فهو يخرج من نطاق هذا التحديد، لأنه داخل في ظِل خاتَم المرسَلين ﷺ، وذلك لاتباعه وفنائه في الرسول ﷺ، كما يدخل الجزء في الكل. ولكن المسيح ابن مريم قد نزل عليه الإنجيل – الأمر الذي يجعل نزول جبريل ضروريا – فلا يمكن أن يكون فردا من الأمة بحال من الأحوال، لأنه سيكون محتّما عليه اتّباع الوحي الذي سينـــزل عليه بين فينة وفينة كما هو جدير بالرسل. فلو اتبع هذا الوحيَ والكتابَ الجديد الذي سينـــزل عليه، فلن يُعدّ فردا من الأمة.

وإذا قلتم إن الأحكام النازلة عليه لن تكون مضادة للقرآن الكريم، قلتُ: مع ذلك لا يمكن أن يعدَّ من الأمة بناء على هذا التوافق وحده، إذ من الواضح البيّن أن جزءا لا بأس به من التوراة يطابق القرآن الكريم تماما، فهل سيُعدُّ نبينا الأكرم ﷺ من أمة موسى – والعياذ بالله – بسبب هذا التوافق فقط؟ التوافق شيء والاتّباع كالمتقادين شيء آخر.

لقد أوردت قبل قليل قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ أيْ لا يأتي إلى الدنيا رسول مطيعا ومتَّبعا، بل يأتي مطاعا وتابعا للوحي الذي ينـــزل عليه بواسطة جبريل عليه السلام فقط. والواضح

أيضا أنه عندما ينـــزل المسيح ابن مريم ويبدأ جبريل بإنزال الوحي عليه بالتوالي، ويعلّم بالوحي المعتقدات الإسلامية مثل الصيام والصلاة والزكاة والحج ومسائل الفقه كلها، فستُسمَّى هذه المجموعة من أحكام الدين "كتاب الله" حتمًا.

وإن قلتم: سيؤمَر المسيح بذلك الوحي فقط أن يعمل بالقرآن، ثم ينقطع الوحي طول العمر، ولن ينـــزل عليه جبريل عليه السلام بعد ذلك قط، بل ستُسلَب منه النبوة كليا فيصبح مثل بقية أفراد الأمة، قلت: إن هذه فكرة صبيانية جدا وتبعث على الضحك. فالمعلوم أنه لو قيل إن الوحي سينـــزل عليه مرة واحدة فقط، ثم يصمت جبريل نهائيا بعد ذلك، لكان ذلك أيضا منافيا لختم النبوة؛ لأنه إذا فُضَّ ختم النبوة مرة، وبدأ نزول وحي النبوة من جديد – قليلا كان أم كثيرا – فلا يغير في الموضوع شيئا. لكل عاقل فطين أن يدرك أنه إذا كان الله تعالى صادق الوعد – وكان وعده الوارد في آية خاتَم النبيين، وما جاء في الأحاديث بصراحة تامة أن جبريل عليه السلام قد مُنع بعد وفاة النبي ﷺ من الإتيان بوحي النبوة إلى الأبد – صدقا وحقا، لاستحال قطعا أن يأتي أيّ شخص رسولا بعد نبينا الأكرم ﷺ. ولو افترضنا جدلا أن المسيح ابن مريم سيُحيا ويعود إلى الدنيا، لما وسعنا الرفض بحال من الأحوال أنه رسول، وسيأتي كرسول، وستبدأ سلسلة نزول جبريل عليه السلام وكلام الله عليه من جديد. كما لا يمكن على الإطلاق أن تطلع الشمس دون أن يصحبها ضوءها،كذلك من المستحيل تماما أن يأتي إلى الدنيا رسول لإصلاح خلق الله دون أن يصحبه الوحي وجبريل عليه السلام.

وبالإضافة إلى ذلك لكل عاقل أن يعلم؛ أنه إذا انقطعت تماما سلسلة نزول جبريل عليه السلام ونزول كلام الله في زمن نزول المسيح عليه السلام، فأنّى له أن يقرأ القرآن الكريم باللغة العربية؟ هل سيتتلمذ في مدرسة ما، لبضعة أعوام بعد نزوله ليدرس القرآن الكريم على يد أحد المشايخ؟ وإن افترضنا جدلا أن هذا ما سيفعله عليه السلام، فكيف يستنتج من القرآن الكريم – بغير تلقيه وحي النبوة – مسائلَ دينية مثل عدد ركعات السنّة في صلاة الظهر، وعدد ركعات السنّة في صلاة المغرب مثلا؟ ومن تجب عليه الزكاة، وما هو نصابها؟ لأنه قد تبين مسبقا أنه لن يتوجه إلى الأحاديث. وإذا أُعطي كل هذا العلم بوحي النبوة، فلا بد أن يُعدّ الكلام الذي بواسطته ستُكشف عليه كل هذه التفاصيل كتابَ الله، لكونه محتويا على وحي النبوة. فالواضح أن هناك مفاسد ومصاعب لا حصر لها تلازم مجيئه الثاني؛ منها أنه ليس من سلالة قريش، فلا يمكن أن يكون إماما بحال من الأحوال، فسيضطر ليبايع إماما آخر شاء ذلك أم أبى، وخاصة إذا كان الاعتقاد سائدا أن الجميع يكونون قد بايعوا محمدا بن عبد الله المهدي قبل نزوله. ففي هذه الحالة ستطل مصيبة أخرى برأسها وهي أن تأخُّره عن بيعة المهدي تكون معصية كبيرة، لذا لا بد من مبايعته المهديَ حتما بحكم الحديث القائل: "من شَذّ شُذَّ في النار"، أو تصدر بحقه فتوى الخروج عن طاعة الله ورسوله، لعدم بيعته خليفة الوقت.

ثم نُقل في الصحفة ٤٢٧ من كتاب "آثار القيامة" نفسه قول ابن خلدون بأن المتصوفين يرون بناء على الكشف أن الدجال سيخرج في عام ٧٤٣. فيتابع ويقول: إن هذا الكشف أيضا لم يتحقق. ثم يقول: لقد اكتشف يعقوب بن إسحاق الكندي أيضا بواسطة الكشف أن عام ٦٩٨، هو عام نزول المسيح،

ولكن مضت مدة أطول منها بكثير و لم يأتِ المسيح إلى الآن. ثم يقول بأنه قد رُوي عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إني لأرجو إنْ طال بي العمر أن ألقى عيسى بن مريم" أي إن وجود محمد بن عبد الله المهدي في تلك الفترة ليس ضروريا. "فإن عجل بي موت فمن لقيه فليُقرئه مني السلام". أخرجه مسلم وأحمد أيضا.

هنا يقول المولوي صديق حسن خانْ: أتمنى أن يأتي المسيح في حياتي لأقرأ عليه أنا السلام من سيدنا خاتَم المرسَلين. طبعا هذه كانت أمنية كل واحد، رحمهم الله. لقد قال مجدد القرن الحادي عشر[١٧٣] بالحق ما معناه: حين ينـــزل المسيح، سيعارضه العلماء كلهم ويقولون: بأنه يقدِّم رأيه ويترك الإجماع، ويحرِّف معاني كتاب الله!

ثم يقول: إن هناك اختلافا في موت عيسى قبل الرفع. يقول البعض إنه رُفع بعد الموت، ومع ذلك سيموت بعد عودته؛ لذا فله ميتتان. ومع أن الآية: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[١٧٤] لا تتناول ذكر موت إدريس، ولكن المذهب الصحيح هو أنه أيضا رُفع بعد الموت. ثم يقول إن الشيعة أيضا يقولون بأنه: لن ينـــزل عيسى من السماء، بل الحق أن المهدي هو الذي سُمِّي عيسى. ثم يقول: إن بعض المتصوفين استنبطوا من الحديث: "لا مهدي إلا عيسى" أن المهدي الآتي هو عيسى نفسه في الحقيقة، ولا حاجة لنـــزول عيسى آخر من السماء. ولقد اعتبر المتصوفون مهديَّ آخرَ الزمان هو عيسى، لأنه سيأتي لخدمة الشريعة المحمدية، وسيأتي تماما كما أتى عيسى لخدمة شريعة موسى واتِّباعها.

---

[١٧٣] *هو الشيخ أحمد السرهندي رحمه الله. (المترجم)*

[١٧٤] *مريم: ٥٨*

ثم يقول في الصفحة ٤٣١ من كتابه المذكور بأنه يتبين من الأحاديث أن الوحي سيظل ينـــزل على عيسى بعد نزوله، وذلك كما جاء في حديث النواس بن سمعان الذي أورده الإمام مسلم: "يقتل عيسى الدجالَ عند باب لدّ الشرقي، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم". ثم يقول بأن جبريل سيأتي عيسى بالوحي، لأنه هو الذي يأتي بالوحي إلى الأنبياء.

يتبين من هذا البحث كله أن جبريل سينـــزل بالوحي على ابن مريم باستمرار إلى مدة أربعين عاما التي حدِّدت لمكوث المسيح عليه السلام في الدنيا بعد مجيئه. والآن لكل عاقل أن يفهم أنه كما نزل القرآن الكريم بأجزائه الثلاثين، في غضون ثلاثة وعشرين عاما، لكان من المحتّم أن ينـــزل على المسيح كتاب يحتوي على خمسين جزءا على الأقل في غضون أربعين عاما. ومن الواضح أيضا أن فكرة تردّد جبريل إلى الأرض بوحي النبوة بعد خاتَم النبيين ووجود كتاب جديد من الله – وإن كان يطابق القرآن الكريم من حيث المضمون – يستلزم المحال، وما استلزم المحال كان محالا، **فتدبّر**.

يجب الإمعان جيدا في انقلابٍ عظيم وهو أن المسيح سينـــزل – لو افترضنا نزوله جدلا – في حالة لن يكون لديه أدنى إلمام بالشريعة المحمدية، لكونها في لغة غير لغته. وسيكون بحاجة إلى أن يطّلع على تعاليم القرآن الكريم، وعلى تفاصيل أحكام الدين التي تبيِّنها الأحاديث. فباختصار، يتحتم عليه الاطلاع على كافة تعاليم الشريعة المحمدية؛ سواء كانت عقائد أو عبادات أو معاملات أو قوانين قضاء وحكم في القضايا. ولا يمكن بحال من الأحوال أن يقضي عمرا طويلا – وهو طاعن في السن أصلا – وهو يتتلمذ على أيدي الآخرين. فلا بد من أن تنـــزل عليه جميع تعاليم الشريعة مجددا، إذ ليس له

سبيل آخر لاستعلام المجهول. لقد جرت سنة الله منذ القِدم في تعليم الرسل وإعلامهم أنه يعلِّمهم بإنزال الآيات الربانية والكلام الرحماني بواسطة جبريل عليه السلام. وبما أن القرآن الكريم كله وكذلك الأحاديث النبوية الصحيحة، ستُنَـــزَّل على المسيح عليه السلام مجددا بلغته هو بواسطة جبريل، وأنه قد ورد في الأحاديث أن بعضا من أوامر القرآن الكريم المتعلقة بالجِزية وغيرها ستُنسَخ أيضا، فيتضح أن القرآن الكريم سوف يُنسَخ أيضًا – مثل التوراة والإنجيل– بعد نزول هذا الكتاب الجديد، وأن القرآن الجديد النازل على المسيح الذي سيكون مختلفا بعض الشيء عن القرآن الكريم الحقيقي سيجد رواجا ونفوذا. وسيتلو المسيح في الصلاة قرآنه الخاص به، وسيُعلِّم الآخرين أيضا هذا القرآن جبرا وقهرا. ويبدو في الظاهر أن الشهادة بأن "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" أيضا ستكون قابلة للتغيير والنسخ نوعا ما، لأنه إذا استُئصلت الشريعة المحمدية تماما – والعياذ بالله – ونزل قرآن جديد وإن كان مطابقا لقرآننا إلى حد ما، فلا بد أن تتغير هذه الشهادة أيضا.

يردّ البعض على ذلك منفعلين بشدة ويقولون بأن كل هذه الأمور بمنـــزلة عيوب في الحقيقة، ولا يمكننا إنكارها، ولكن ماذا نفعل ما دام قد تم الإجماع على نزول المسيح عليه السلام بصفته رسول الله، ونـــزول جبريل عليه إلى أربعين عاما متتالية، وهذا ما يتضح من الأحاديث أيضا. أقول في الجواب: صحيح تماما أنه إذا جاء المسيح رسول الله نفسه – صاحب الكتاب الذي كان ينـــزل به جبريل– فلن يتتلمذ على يد أحد أبدا من أجل الاطلاع على قوانين الشريعة المحمدية، بل سينـــزل عليه وحي الله بواسطة جبريل بحسب سنته سبحانه وتعالى، وستنـــزَّل عليه من جديد كافة قوانين الشريعة المحمدية وأوامرها بصورة

جديدة وبأسلوب جديد وبلغة جديدة، وسيُعتبَر القرآن الكريم منسوخا مقابل ذلك الكتاب الجديد الذي سينـــزل من السماء. لكن الله تعالى لن يسمح بحق هذه الأمة ذلةً وهوانا كهذا أبدا، ولن يسمح أبدا بحق نبيه الحبيب خاتم الأنبياء ﷺ إساءة أو إهانة مطلقا، فضلاً عن إرسال رسولٍ يصحبه جبريل لا محالة، ثم يستأصل الإسلام نهائيا، مع أنه قد وعد بعدم إرسال أي رسول بعد النبي ﷺ. إن دارسي الأحاديث قد وقعوا في خطأ فادح إذ استيقنوا بمجرد الاطلاع على اسم: "عيسى بن مريم" أن المسيح ابن مريم رسول الله نفسه سينـــزل من السماء، ولم ينتبهوا إلى أن نزوله يعني زوال الإسلام من الدنيا نهائيا. هذه هي نتيجة الاعتقاد الإجماعي!! وبهذا الصدد فقد ورد في صحيح مسلم أن المسيح سيأتي وهو نبيّ. فإذا كان المراد من المسيح أو ابن مريم هو شخص من الأمة كمثيل، ويحظى بمرتبة المحدَّثية؛ فلا يحدث أيّ خلل، لأن المحدَّث أيضا نبي من وجه، ولكنه يستمد النور من سراج النبوة المحمدية، ولا يكون نبيا مستقلا بحد ذاته، بل ينال العلم ببركة نبيه، وقد ورد في الصفحة ٢٣٩ من كتابي "البراهين الأحمدية" إلهام يشير إلى هذا الأمر ونصه: **"كلُّ بركة من محمد ﷺ فتبارك من علّم وتعلّم"**. أي كل بركة تنـــزل على هذا العبد الضعيف في أسلوب الإلهام والكشف وغيرهما، إنما هي ببركة محمد ﷺ وبواسطته. ففي الشخص الذي علّم (أي النبي ﷺ) بركاتٌ كثيرة، وكذلك فيمن تعلّم (أيْ أنا العبد الضعيف) أيضا بركات كثيرة. غير أن الاعتقاد بنـــزول المسيح ابن مريم بصورة حقيقية وظاهرية يؤدي إلى مشاكل لا تعدُّ ولا تُحصى. وهناك قرائن صريحة وواضحة أنه ليس المراد من النـــزول هنا النـــزولُ الحقيقي قط، بل قد استُخدمت استعارةٌ ثانيةٌ نظرا إلى استعارة سبقتْ، بمعنى أنه كما أُطلقت صفة "اليهود"

على أفراد هذه الأمة على سبيل الاستعارة، وذُكر أنْ تسرَّبت إليهم جميع المفاسد التي انتشرت في زمن المسيح ابن مريم؛ فمن هذا المنطلق قيل أيضا إنه سيُبعث لإصلاحكم والحُكمِ بين فِرقكم المختلفة، شخصٌ حَكَمًا من بينكم، اسمه المسيح، أو عيسى بن مريم. وفي ذلك إشارة إلى أن هذه الأمة ليست رديئة وبليدة لدرجة أن يُظَنّ أنها لا تملك إلا أن تكون نموذجا لليهود ذوي الطبائع الوحشية الذين كانوا في زمن المسيح عليه السلام، بل يمكن أن تصبح مسيحا أيضا. فحين يصبح بعض الناس يهودا، سيأتي البعض بصفة المسيح ابن مريم ليُعلَم أن هذه الأمة كما تضم في طياتها بعضا من الضعفاء والماديين، كذلك فيها أناس يمكن تسميتهم عيسى بن مريم، وموسى بن عمران أيضا؛ وذلك بناء على كمالاتهم. ففي هذه الأمة كفاءات من كِلا النوعين؛ أي يمكن أن يكون فيها يهود، ويمكن أن يكون فيها المسيح أيضا.

فليكن معلوما أن عيسى بن مريم أيضا جاء لإنجاز المهمة نفسها وفي الزمن نفسه الذي كان اليهود قد افترقوا فيه إلى فِرق كثيرة مثل المسلمين تماما، وكانوا متمسكين بكلمات التوراة الظاهرية فقط، تاركين روحها وحقيقتها. ونشأت فيهم الخصومات لأتفه الأمور، وتطرّق إلى فِرقهم المختلفة البُغض والحسد نتيجة الدناءةِ وضيقِ الأفق المتبادل، لدرجةٍ ما كانت لفِرقة أن تتحمل وجود غيرها. وكانت عداواتهم الشخصية قد بلغت مبلغ العداوة بين الذئب والشاة. ولم يعد فيهم حُبّ لإخوتهم بسبب الخلاف في المعتقدات، بل انتشرت فيهم السَّبُعيّة، وفسدت الحالة الأخلاقية للغاية، وتلاشت الرحمة والمواساة المتبادلة نهائيا. فصاروا كالدواب، فلم يعودوا قادرين على معرفة الحسنة الحقيقية. كان التباغض والتحاسد على أشدهما، وقد اتُّخذت بعض العادات

والتقاليد فقط دينا. فبشّر النبي ﷺ أمته أن حالتكم أيضا ستؤول في الزمن الأخير إلى المآل نفسه، إذ ستنشأ فيكم فِرق كثيرة، وتطل أفكار متضاربة كثيرة برأسها، وستعتبر فِرَقٌ غيرَها كافرة كاليهود، وتُكفَّر باعتبار وجه واحد وإن وُجد فيها ٩٩ وجها للإسلام. فبسبب التكفير المتبادل تسودكم الكراهية والبُغض والعداوة الشديدة. وبسبب الخلاف في الرأي تنتشر الضغينة والحسد والسَّبُعيّة، وتتلاشى نهائيا من بينكم الصفات الإسلامية التي تقتضي الوحدة الكاملة كوحدة الجسد الواحد، والزاخرة بالحب والمواساة المتبادلة، ويرى أحدكم الآخرَ غريبا لدرجة انقطاع العلاقات الدينية كليا. وكل حزب سيحاول تكفير غيره كما كان حال اليهود تماما في زمن المسيح ابن مريم. وبسبب الفُرقة الداخلية والبُغض والحسد والعداوة يكونون في نظر الأمم الأخرى أذلة مهانين ومحتقَرين وضعفاء للغاية، ويوشكون على الفناء نتيجة التقهقر البالغ ذروته بسبب الخصومات الداخلية، ويسعون لِيَلتَهِم بعضهم بعضا على غرار الحشرات، وبذلك يفسحون المجال لوقوع الهجمات الخارجية عليهم، وذلك ما حدث مع اليهود في ذلك الزمن، إذ ضاع ملكوتهم نتيجة النفاق الداخلي، فظلوا يعيشون كالعبيد تحت إمرة قيصر.

لقد قال الله تعالى على لسان نبيه الأكرم ﷺ: إن حالتكم أيضا ستؤول في الزمن الأخير إلى المآل نفسه، حين ستبلغ عداواتكم لإخوتكم ذروتها، وستمتلئون بُغضا وحسدا وضغينةً. فعقوبةً على ذلك لن تبقى حالة دينكم ولا دنياكم ولا أخلاقكم الإنسانية على ما يرام، ولن تبقى فيكم خشية الله ولا معرفة الحق، بل ستصبحون سِباعا وظالمين وجهلاء بكل معنى الكلمة، ولن يبقى فيكم عِلم يترك في القلوب تأثيرا طيبا. وإن هذا الإلحاد وعدم تقوى الله

والفتور كله سينشأ في أول الأمر في البلاد الشرقية، ومنها سيخرج الدجال ويأجوج ومأجوج، أي سيبرزون بقوتهم وشوكتهم. والمراد من البلاد الشرقية هو بلاد فارس ونجد وبلاد الهند لأنها تقع شرقيّ أرض الحجاز. وكان ضروريا، بحسب نبوءة رسول الله ﷺ، أن يخرج الكفر والكفار من هذه الأماكن بقوة، وأن يخرج الدجال في بلد من هذه البلاد، وأن ينـــزل المسيح أيضا في البلاد نفسها. وذلك لأن المكان الذي يصبح محل الكفر والفتن لا بد أن يُختار هو نفسه للإصلاح وتأسيس الإيمان فيه. فلما غدت الهند أكثر هذه البلاد الشرقية كفرا وفتنا وبُغضا وضغينة فكانت أحق بأن يظهر المسيح فيها، وأن يُنظَر إليها في الزمن الأخير أيضا بنظرة الرحمة كما نُظر إليها بنظر الرحمة قبل غيرها بعد ظهور آدم.

ولقد بيَنتُ من قبل أن رسول الله ﷺ قد قال بحق أمته بصراحة تامة إنكم ستصبحون يهودا بحذوكم حذو اليهود تماما، وإن هذه البلايا ستنتشر في الزمن الأخير في البلاد الشرقية، أيْ في الهند وخراسان وغيرهما أكثر من غيرها. عندها ينـــزل -أيْ يُبعث- المسيح ابن مريم لاستئصال هذه اليهودية. وقال ﷺ أيضا بأنه كما ستصبح هذه الأمة كاليهود، كذلك سيولَد فيها ابن مريم أيضا بصورة مثيله، وليس أن تصير هذه الأمة يهودا. أما الاعتقاد بأن ابن مريم ستكون بعثته من بني إسرائيل! ففي هذه الفكرة إساءة كبيرة لنبينا الأكرم ﷺ. وكذلك تعارض هذه الفكرة آية: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾[١٧٥].

هنا يجب أن يكون معلوما أيضا أن للصعود والنـــزول، بحسب مذاق المتصوفين، معنى معيّنًا؛ وهو أنه عندما ينقطع الإنسان عن الخلق انقطاعا كليا

[١٧٥] *الواقعة*: ٤٠-٤١

ويتوجّه إلى الله، فهذه الحالة تسمَّى صعودا عند المتصوفين.. وعندما يعود مأمورا بإصلاح خلقه ﷻ، تسمَّى هذه الحالة نزولا. لذا فقد اختير لفظ "النـــزول" من منطلق هذا المعنى الاصطلاحي. وهذا ما يشير إليه قول الله جلّ شأنه: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[١٧٦].

فتبين من هذا البحث كله أن رسول الله ﷺ لم يقصد من ابن مريم قط؛ ابن مريم رسول الله نفسه الذي نزل عليه الإنجيل، بل عدّ أولا الناسَ في الزمن الأخير يهودا على سبيل الاستعارة، واعتبرهم – من كل الجوانب – أمثال اليهود الذين كانوا في زمن المسيح ابن مريم، وأنبأ على سبيل الاستعارة نبوءة ثانية متوافقة مع الاستعارة الأولى، فقال بأنكم حين تصبحون يهودا على ذلك النحو؛ ستُعطَون مسيحا يكون منكم ويناسب حالكم، وسيكون حَكَمًا فيكم، ويزيل عنادكم وبُغضكم، ويجمع الذئب والشاة في مكان واحد. ويزيل من الأفاعي سُـــمَّها، فيلعب الصبيان مع الأفاعي والعقارب ولن يتضرروا بسمومها. فكل هذه الأمور تشير إلى أنه عندما تزول الخلافات الدينية، سيتدفق ينبوع الحب الفطري دفعة واحدة، ويتلاشى التباغض والتحاسد، وتزول سموم التعصب كلها، وسيُحسن الأخ الظنَّ بأخيه؛ عندها تعود إلى الإسلام أيام السعادة والحبور والازدهار، ويسعى الجميع جاهدين لإنماء الإسلام وازدهاره، والإكثار من عدد المسلمين، على عكس ما يحاوله بعض الناس في الأيام الراهنة جاهدين لتقليل عددهم قدر الإمكان، وإخراجهم من دين الإسلام بأمر من المشايخ الأشرار وفتاواهم التكفيرية. وإذا وُجد فيهم مئة وجه للإسلام فيغضوا الطرف عنها، ويبحثوا لتكفيرهم عن وجه واحدٍ سخيفٍ وبلا أصل، فيعدّوهم

[١٧٦] *الإسراء:١٠٥*

كفارا وكأنهم أسوأ من الهندوس والمسيحيين. ولا يقومون بذلك مستغلين الشريعة أسوأ استغلال فقط، بل يتلقى الناس من هذا القبيل إلهامات مزعومة أيضا أن فلانا كافر وفلانا مسلم، وفلان جهنميٌّ وفلان غارق في كفرٍ لن يهتدي بعده أبدا. وبسبب حماس السَّبُعيّة يركزون كثيرا على اللعنات، ومن أجل اللعنات تُصدَر الفتاوى بجواز المباهلة بين المسلمين!

وإن هؤلاء المشايخ كلهم – أو قولوا بتعبير آخر؛ الحشرات التي يلتهم بعضُها بعضا – لا يصِلون إلى كنه حقيقة أن الخلافات الجزئية موجودة وجارية بوجه عام في مذاهب المسلمين، فهناك من يخطئ في شيء، والآخر يخطئ في غير ذلك. فهل من الإنسانية في شيء، أو يندرج تحت المواساة والترحم، أن يُعتبر الطريق الوحيد لتسوية الأمور هو أن أتباع الأئمة الأربعة من المسلمين وأتباع المحدثين، والمتصوفين؛ يتحفّزون في ميدان المباهلة لأبسط الخلافات وأتفهها، ويلعن بعضهم بعضا؟ والآن، لكل عاقل أن يدرك أنه إذا كان وقوع صاعقة غضب الله ضروريا على الفرقة المخطئة بعد المباهلة والملاعنة، فهل تكون النتيجة إلا أن يهلك الله المسلمين جميعا دفعة واحدة، وأن يُهلَك الجميعُ لأخطائهم الاجتهادية؟

يقول هؤلاء الجهلة إن ابن مسعود ﷺ طلب المباهلة، فيُستنبَط من ذلك أن المباهلة بين المسلمين جائزة. ولكن لا يسعهم الإثبات أن ابن مسعود لم يتراجع عن قوله هذا، كما لا يسعهم أن يثبتوا أن عذابا نزل على المخطئين نتيجة تلك المباهلة. والحق أن ابن مسعود كان إنسانا عاديا، ولم يكن نبيا أو رسولا، فإذا صدر منه خطأ لحماسه المفرط، فهل من واجبنا أن نصنّف قوله في

قائمة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[١٧٧]؟ انظروا إلى مشاجرات الصحابة واختلافاتهم التي وصلت في بعض الأحيان إلى السيف والسنان. كان معاوية ﷺ أيضا صحابيا، وقد هدر دماء آلاف الناس بسبب إصراره على خطأ، فإذا صدر الخطأ من ابن مسعود، فأية قيامة قامت بسببه؟ لا شك أنه أخطأ خطأ كبيرا إذا كان قد طلب المباهلة نتيجة اختلاف فرعي. وإذا كان صدور الخطأ من الصحابي ممكنا في أمور أخرى، أفلا يمكن صدوره في طلب المباهلة؟ إن وجود خلافات كبيرة بين الصحابة واضح تماما، فمنهم من كان يعتبر دجال الجسَّاسة دجالا معهودا، ومنهم مَن قال حالفا بالله إن ابن صياد هو الدجال المعهود. ومنهم مَن كان يعتقد بأن المعراج كان بالجسد المادي، ومنهم من كان يعتبره رؤيا. منهم من كان يعدُّ بعض السور مثل المعوذتين جزءا من القرآن الكريم، وغيرهم كان يعتبرها خارجه. فهل كانوا كلهم على حق؟ فإذا صدر منهم خطأ من هذا النوع، فيمكن صدور خطأ من نوع آخر أيضا. أيّ جهل هذا أن يُعتبَر صحابي بريئا من الخطأ تماما، فيؤخَذ قوله مأخذ قول النبي ﷺ!

أيها المسلمون استحيوا من الله، ولا تُظهروا سيرة مشيختكم وتفقُّهكم على هذا النحو! إن عدد المسلمين قليل أساسًا، فلا تقللوهم أكثر، ولا تزيدوا عدد الكفار. إذا كان كلامي لا يؤثر فيكم شيئا، فعودوا بشيء من الاستحياء إلى عباراتكم المنشورة، وارتدعوا عن الخطابات المثيرة للفتن.

---

[١٧٧] *النجم:* ٥